ايديولوجيا العنف عند الحركات الاسلامية: حركة طالبان – باكستان أنموذجا

The Ideology of Violence for Islamic Movements : The Taliban Movement-Pakistan as a Model

بادود سمية* أستاذ مساعد أ كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر 3

soumia.badoud2015@gmail.com

تاريخ الإرسال:14/ 02/ 2021 تاريخ القبول2021/12/07 تاريخ النشر: 2022/01/01

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع إيديولوجيا العنف عند الحركات الاسلامية بالتركيز على حركة طالبان – باكستان، واعتمدت الدراسة بالدرجة الأولى على منهج دراسة الحالة، حيث تناولت الدراسة بعض الأطر المافهيمية للإيديولوجيا والعنف والحركات الاسلامية، والتعرض لواقع العنف عند حركة طالبان – باكستان، وتمركزت أهداف الدراسة حول تحليل ظاهرة العنف السياسي باعتبارها أداة في يد الحركات الاسلامية في باكستان خاصة وأنها تمثل الظاهرة الأكثر انتشاراً وبروزاً في هذه الدولة. وجاء التركيز على حركة طالبان – باكستان باعتبارها أبرز التنظيمات التي تمارس العنف السياسي في هذه الدولة، وتسليط الضوء على الطرق المختلفة التي تنتج عن الفعل السياسي الداخلي والخارجي والتي تتسبب في توجه الحركات الاسلامية إلى ممارسة العنف .

ومن خلال تشخيص وتحليل متغيرات الدراسة، تم التوصل إلى نتيجة أساسية هي أن استخدام العنف من قبل الحركات الاسلامية، والذي تحول إلى متغير لصيق بها، ماهو إلا انعكاس لشبكة متداخلة من الخلفيات والفواعل تتراوح بين توظيف بعض المعتقدات والأفكار الدينية التي تجد بعض مبرراتها في التراث الاسلامي وهذا لخدمة أجندات سياسية للأنظمة، إضافة إلى توظيفها في سياق الصراعات والمصالح الاستراتيجة، للقوى الدولية.

الكلمات المفتاحية:

العنف، الحركات الاسلامية، طالبان، باكستان.

Abstract:

This research is about the issue of the ideology of violence among the Islamic movements it focus on the Taliban Movement - Pakistan, it relied basically on the case study method, it takes some conceptual frameworks for ideology, violence and Islamic movements, and exposure to the reality of violence in the Taliban - Pakistan. The study objectives centered on analyzing The phenomenon of political violence as a tool in the hands of the Islamic movements in Pakistan, especially as it represents the most widespread and prominent phenomenon in this country. The focus was on the Taliban - Pakistan movement, as it is the most prominent organization practicing political violence in this country, and to shed light on the different ways that result from internal and external political action that cause Islamic movements to resort to violence.

* المؤلف المرسل : بادود سمية

Through the diagnosis and analysis of the study variables, a basic conclusion was reached is that the use of violence by the Islamic movements, which has turned into an intimate variable with them, is nothing but a reflection of an overlapping network of backgrounds and actions ranging from employing some religious beliefs and ideas that find some justification in the Islamic heritage. This is to serve the political agendas of the regimes, in addition to employing them in the context of conflicts and the strategic interests of international powers.

key words:

Violence, Islamic movements, Taliban, Pakistan.

مقدمة

يحتل موضوع العنف حيزاً هاماً في الواقع السياسي والاجتماعي للنظم السياسية الداخلية والدولية، فهو يمثل ظاهرة نشأت مع نشأة الإجتماع البشري، وتغيرت وتطورت مع تطور الحياة ذاتها، ويظهر ذلك في محتواها وأشكال تمظهرها من حيث الكم والكيف.

فتجارب العنف التاريخية أسهمت بقدر كبير في إيضاح الملامح العامة والظروف الموضوعية التي ينتج عنها استخدام العنف بكافة أنواعه، والعنف السياسي على وجه الخصوص، الذي تمس تأثيراته كافة المستويات لأنه عنف بنيوي لنظم ومؤسسات في الاجتماع والسياسة، والاقتصاد، والاعلام، والاتصال، وفي التربية والتعليم فأصبح إشكالية متشابكة بين هذه العوامل ومتبادلة التأثير والتأثر، بحيث جعل هذا من العنف ظاهرة إشكالية فبقدر ما هو ظاهرة مدمرة ومهددة للإنسانية، بقدر ما يلعب دورا مهما في صنع التاريخ البشري، وأساسا لتثبيت السلطة، وبهذا تحول إلى ظاهرة تاريخية من الصعب تقليص مساحة حضورها.

والملاحظ في المجتمعات الحديثة أن العنف أصبح ظاهرة لصيقة بالحركات والتنظيمات ذات الإيديولجيات والأفكار المتطرفة، والتي تستمد مصادرها ومرجعياتها وسلوكياتها ونزعاتها من مصادر ثقافية وسياسية، ففي مصدره الثقافي الاول يتغذى من عنف الأفكار والاعتقادات والقيم والممارسات وفي مصدره السياسي يجد دوافعه في الإقصاء والتهميش، والاستبداد بالسلطة فيتحول هذا إلى عوامل تغذي العنف وتفعله من قبل فئات تحاول إيجاد مكان لها داخل بناء القوة، الأمر الذي ينتج عنه استعمال العنف المضاد من قبل فئات عريضة.

وتمثل الحالة الباكستانية أبرز الأمثلة في هذا السياق، حيث يمثل العنف فيها ظاهرة متجذرة تاريخيا والذي يمكن ربطه بسياق العنف الذي صاحب إنشاء باكستان في حد ذاته، وظلت هذه الدولة تعيش عنفا شاملا مابين حركات انفصالية، وعنف عرقي وطائفي، واغتيالات سياسية، إضافة إلى الحركات والجماعات المسلحة والمتشددة ذات الإيديولوجية الاسلامية التي دخلت في صراع مع الدولة ومؤسساتها من جيش وحكومة ورجال سياسة، وحتى المدنيين، وأمام انتشار العنف السياسي بمختلف أنماطه، وهو ماوضع الدولة أمام تحدي احتواء العنف.

إشكالية الدراسة:

يشكل العنف أحد أكثر الظواهر تعقيدا، نظرا لتداخل أسبابه ونتائجه وأبعاده وضبابية الحدود بين مشروعيته من عدمها، فرغم أن الدولة تمثل المستودع الأول لوسائل العنف المشروع، إلا أن ممارسته لا تقتصر على مؤسسة الدولة فقط، إذ دائما ما تبرز أعمال العنف خاصة غير الرسمية من قبل قوى وفواعل من غير الدولة قد تكون أفرادا أو جماعات وحركات، وهذه الأخيرة قد تحولت إلى أحد أبرز محركات العنف عالميا وداخليا، والتي ينسب أغلبها إلى الإسلام. وتمثل حركة طالبان – باكستان أحد الأمثلة في هذا السياق والتي تمثل فاعلا مهما في أعمال العنف في باكستان خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 .

انطلاقا من هذا يمكن طرح إشكالية البحث في التساؤل التالي: ما هو السياق الإيديولوجي والتاريخي والدولي الذي جعل من حركة طالبان – باكستان الفاعل الرئيسي في ممارسة العنف في باكستان؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموع التساؤلات التالية:

-ما هو السياق التاريخي والاقليمي والدولي الذي نشأت وتطورت فيه إيديولوجيا العنف عند الحركات الاسلامية؟

-كيف تحولت حركة طالبان – باكستان إلى فاعل محوري في أعمال العنف في باكستان؟ ما هي النتائج المترتبة عنها؟

فرضيات الدراسة

ومن أجل الإحاطة بالموضوع وبغرض معالجة إشكالية الدراسة صيغت الفرضيات التالية :

– العنف هومحصلة تفاعل عوامل متبادلة التأثير والتأثر بين متغيرات إيديولوجية وبنيوية للنظام السياسي والتحالفات والمصالح الاستراتيجية والاقليمية والعالمية.

– هناك علاقة بين تداخل التحالفات والمصالح الإستراتيجية العالمية وأزمات النظام السياسي في باكستان وتنامي ظاهرة العنف لدى الحركات الاسلامية.

– تنامي ظاهرة العنف لدى الحركات الاسلامية في باكستان أدى إلى نتائج عكسية على الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني في الدولة.

أهداف الدراسة

وتسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- التأصيل المفاهيمي للحركات الاسلامية، وبعض المفاهيم المرتبطة بها .
- دراسة حالة حركة طالبان – باكستان لأنها تمثل أحد النماذج عن الحركات الاسلامية الممارسة للعنف وتحليل الأبعاد المتصلة بها على المستوى العالمي والإقليمي، من خلفيات ترتبط بالتدخل الخارجي وتدهور شرعية النظام السياسي.

الإطار المنهجي والنظري للبحث

لتحليل متغيرت هذا الموضوع تم الاعتماد على منهجية للدراسة تستند إلى المناهج والاقترابات التالية:

منهج دراسة الحالة

اعتماد هذا المنهج في هذا البحث يرجع لكونه يختص بجمع البيانات والمعلومات الأساسية بالتركيز على وحدة الدراسة، بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها عن الوحدات المتشابهة، وجاء اعتماد هذا المنهجمن أجل التركيز على المتغيرات المتعلقة بموضوع إيديولوجيا العنف عند حركة طالبان –

باكستان من ناحية تناول الجوانب المافهيمية للإيديولوجيا والعنف والحركات الاسلامية، ومحاولة التركيز على حركة طالبان – باكستان كنموذج للحركات الاسلامية العنفية.

الإقترابات النظرية :

أما فيما يخص الاقترابات النظرية فقد تمت الاستعانة بما يلي:

اقتراب الجماعة

يقوم هذا الاقتراب الذي وضعه **أرثر بنتلي Arther bintly** على افتراض أن النظام السياسي عبارة عن شبكة معقدة من الجماعات تتفاعل فيما بينها على أسس مصلحية تبرز أشكال العلاقات بينها في أنماط تضاد وتصادم في المصالح ومن ثم الصراع.

يمثل مدخل الجماعة في الدراسة آلية لتناول علاقة حركة طالبان – باكستان، بالنظام السياسي باعتبارها فاعل حقيقي في النظام الاجتماعي ككل من حيث مطالبها ونشاطها التي تصنف في كثير من الأحيان على أساس أنها مدخلات أولية للنظام السياسي، وتحليل نشاطها وتأثيراتها وأشكال الصراع القائمة بينها، إضافة إلى تفسير ديناميكة الحركات الاسلامية وتحليل تفاعلها في المجتمع العام، وفهم طبيعتها.

اقتراب الدولة - المجتمع

يرجع بروز اقتراب الدولة – المجتمع إلى مؤسسه **جويل ميجدال Joel Magdal** ويقوم هذا المقترب على أساس التعرض للكيفية التي تمارس بها الدولة تأثيرا على الجماعات ومصالحهم كما تتأثر بهم.

وتفرض الدراسة الاستعانة بهذا المقترب الذي من خلاله يتم تحليل علاقة التأثير المتبادلة بين أجهزة الدولة والقوى الاجتماعية، فهناك جماعات تقوم بتحديد معايير للسلوك قد تكون معايير مضادة للمعايير التي يضعها النظام وهذا ما يخلق أنماطاً معينة وأحياناً مختلفة لأشكال علاقة الدولة بالمجتمع، والتي تبرز في أحيان كثيرة على شكل عنف متبادل بين الطرفين.

1. الإطار النظري للدراسة

هناك العديد من العوامل النظرية والعملية التي ساهمت في غموض موضوع العنف، والحركات الاسلامية نظرا لتعدد الحقول المعرفية التي تهتم بهذين المتغيرين واختلاف تصورات الباحثين حولهما، ومن هذا المنطلق سيتم التطرق إلى تحديد الإطار المفاهيمي والنظري لمتغيرات الدراسة وهي: الإيديولوجيا والعنف، والحركات الاسلامية.

1.1.الايديولوجيا

يشكل مصطلح الإيديولوجيا أحد أكثر المفردات التي عرفت تداولا في فترات زمنية معينة، إلا أن استخدامه عرف تراجعا، نظرا لدلالته الغامضة في بعض الأحيان، ويمكن استعراض أبرز تعريفات هذا المصطلح كالتالي:

تعريف الإيديولوجيا لغة:

تتفق أغلب التعاريف اللغوية في أن أصل كلمة إيديولوجيا ذات الأصل اللاتيني **Ideology** تمثل علم الأفكار. وقد عرفها معجم المصطلحات السياسية والديبلوماسية على أنها: تعني المبدأ أو العقيدة فهناك نزعة

عقائدية، وجيش عقائدي. أما القاموس السياسي فقد أضاف معنى آخر للإديولوجية وهو: المذهب. (العبدويس، 2019، ص 20) .

تعريف الإيديولوجيا اصطلاحا :

يعتبر الفرنسي **ديستوت دي تراسي** أول من صك مصطلح إيديولوجية في أواخر القرن الثامن عشر للدلالة على علم الأفكار، وكشيء مقابل للعالم المحسوس وربما مناقض له (الكيالي، وآخرون، 1979، ص 421) لكنه سرعان ما أصبح يتضمن دلالات ساخرة تنطوي على التحليل الأجوف للمعاني المجردة البعيدة عن الواقع، فيشير نظريا للبنى الفوقية للمجتمع سياسية، قانون، دين، أخلاق، فلسفة،...إلخ. أو كل مذهب تستلهمه الحكومات والأحزاب وتستمد منها آراءها ومواقفها.

ويرى **كارل مانهايم** أن هناك مفهومين للإيديولوجيا: مفهوم خاص ويشير إلى نسق الأفكار التي تتضمنها كتابات مؤلف ما، بحيث تعكس نظرته لنفسه وللآخرين، سواء بشكل مدرك أو غير مدرك، ومفهوم عام أو شامل، والتي تعني منظومة الأفكار العامة السائدة في مجتمع ما. (العبدويس، 2019، ص22) .

وتقوم الإيديولوجيا بوظائف عدة، فهي تعمل على انتاج هوية الجماعة وإعادة هندستها، ففي الوقت الذي تهاجم فيه الايديولوجيا الآخر فإنها تعمل على إبراز الخصائص المشتركة لأفرادها وتأكيدها، وتضطلع بواجب البرمجة من خلال سعيها لتطبيق منهاج عمل معين يتماشى مع أوضاع الجماعة وتشجيع أنصارها على اعتناقها. كما أنها تخلق تمايزات واضحة بين الأتباع وغيرهم، فالأفراد المقتنعون بايديولوجيا معينة، عادة ما يتحرون الوضوح في مطالبهم الإدراكية كما إنهم إقصائيون في مسألة العضوية وسلطويون في ممارسة القيادة.

2.1. مدخل مفاهيمي للعنف

1.2.1. تعريف العنف لغة:

العنف في اللغة العربية: ضد الرفق، وأَعْنَفْتُهُ أنا وعَنَّفْتُهُ تَعْنِيفًا، والعَنِيفُ : من لا رفق له، والشديد من القول والسير، واعتنف الأمر : أخذه بعنف، واعتنف المجلس : تحول عنه. (الفيروز آبادي ، 2005، ص 839) .

وتعود كلمة عنف **violence** في اللغة اللاتينية إلى كلمة **violare** التي تعني يؤذي أو ينتهك، وفي اللغة الانجليزية تعني كلمة **violence** حيوية **vitality** ومن الناحية التاريخية ارتبط مفهوم العنف بالقوة التي تصدر عن قوى الطبيعة أو عن الآلهة لأن كلمة violence مشتقة من الكلمة اللاتينية vis أي القوة في شكلها الفيزيقي الملموس التي تمارس ضد شخص ما أو شيء ما ومن معانيها ممارسة القوة لجسدية بهدف الاضرار بالغير . (الحيدري، 2015، ص ص 19، 20) .

2.2.1. تعريف العنف اصطلاحا:

يعرفه **ريمون أرون** بأنه:" كل مبادرة تتدخل بصورة خطرة في حرية الآخر، وتحاول أن تحرمه حرية التفكير والرأي والتقرير، وتنتهي خصوصا بتحويل الآخر إلى وسيلة أو أداة من مشروع يمتصه ويكتنفه دون أن يعامله ككائن وكفؤ" (حجار، 2010/2009، ص 77) .

وتتفق أغلب التعاريف الإصطلاحية حول أن العنف ما هو إلا استخدام غير مشروع للقوة.

3.2.1. المداخل النظرية المفسرة للعنف:

يتجاذب مفهوم العنف مداخل رئيسية لتفسير أسبابه وتتمثل في :

-العوامل النفسية: تعود هذه النظرية إلى مؤسس مدرسة التحليل النفسي **سيغموند فرويد** وأرائه بصدد غريزة العدوان. وهي نظرية تحلل الطبيعة البشرية والسلوك الانساني بواسطة دوافع السلوك التي تنطلق تلقائيا من قوة الغرائز البيولوجية، ويعتبر فرويد أن غريزة العدوان ميل فطري وغير مكتسب ولذا يصبح الانسان عدوا لأخيه الانسان بالفطرة، وليست الحروب سوى مظهرا من مظاهر السلوك العدواني .

وأبرز عناصر نظرية الحرمان النفسي التي طورت من قبل **تيد جور** وترى أن الناس يميلون إلى ممارسة العنف والتمرد ليتمكنوا من الحصول على فوائد أكثر، أو للتنفيس عن التذمر ولإحباط الذي يعانون منهما، وقد استلهم **روبيرت مكنمارا** هذه النظرية في دراسته حول الأمن القومي وخلص منها إلى أن العنف مصدره الإحباط الناجم عن الفقر وسوء توزيع الموارد في المجتمع مع غياب التنمية العادلة. (الحيدري، 2015، ص 24)

- التحليل النظمي: الذي يعتمد على تحليل طبيعة النظام السياسي ونمط ممارسته للسلطة، فالنظم التي يتوفر في سياساتها الإجماع والشرعية والفاعلية والمساواة تتميز بغياب مؤشرات العنف أو هي عند الحدود الدنيا منها، أما في ظل الأنظمة التي تعتمد في تعزيز حكمها على مصادر أخرى كالقهر والإقصاء والاحتواء وغياب المسالك الناظمة للعملية السياسية، فيظهر العنف الرسمي الذي يعد بدوره الدافع لظهور العنف الشعبي الذي لا يجد سبيلا للدفاع عن مصالح الجماعة إلا به ومن خلاله.

- التفسير الماركسي: هناك اهتمام كبير بمشكلة العنف في أعمال **كارل ماركس** الفلسفية والاجتماعية، حيث أن كارل ماركس قد ميز بين العنف السياسي والعنف الاجتماعي من خلال تحليله لجوهر الدولة، فالعنف السياسي ظهر مع ظهور الدولة الرأسمالية وسيختفي باختفائها. (الحيدري، 2015، ص 65) أما العنف الاجتماعي كما يؤكد الماركسيون لا وجود له خارج العلاقات الطبقية، فالصراع الطبقي والثورة والعصيان المسلح والحروب على مختلف أشكالها هي نتاج لظاهرة التناقضات المجتمعية.

4.2.1 أشكال العنف السياسي

يمكن تصنيف أشكال العنف ضمن نوعين رئيسيين :

أولا : العنف الرسمي: وهو العنف الذي تمارسه الدولة ضد الأفراد والجماعات، على اعتبار أن النظام القانوني يسمح للدولة ويعطيها امكانية التوقيف وإنزال العقوبات حفظ النظام والأمن العام، غير أنه قد ينتج عنه الكثير من المشاكل في بعض الأحيان إذا كان هناك درجة عالية من القمع واستعمال العنف، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن العنف أصبح سمة من سمات الدولة أكثر من شرعيتها في المحافظة على النظام.

ثانيا: العنف غير الرسمي: ويشمل العنف الذي تقوم به جماعات محددة أو عامة الشعب ضد النظام السياسي أو الدولة ورموزها، وأهم الأنواع التي تندرج في هذا السياق كالآتي:

- **العنف الذي يمارسه الفرد ضد الفرد الآخر**: على اعتبار أن الدولة فقط هي تملك الحق والشرعية في استعمال العنف، وبالتالي فإن الفرد الذي يمارس العنف بمنأى عن الدولة يعتبر خارجا عن القانون.
- **العنف الذي تمارسه المجموعة ضد الفرد**: في كثير من الأحيان يكون الفرد هدفا للعنف السياسي، ويتجسد هذا مثلا في عمليات الاغتيال السياسي.

- **العنف الذي تمارسه الجماعة ضد الجماعة**: يبرز هذا النمط من العنف عندما يتعلق الدافع مثلا بتركيبة الجماعات مثل الهوية كالاختلافات العرقية والدينية، التي تجعل الجماعات تستعمل العنف لتحقيق هويتها وتدخل في صراع سياسي مع بعضها من أجل السيطرة السياسية والثقافية.
- **العنف الذي يمارسه الفرد أو المجموع ضد الدولة**: هذا النوع من العنف يوجه مباشرة إلى النظام السياسي خاصة إذا خيب النظام السياسي القائم أمال المواطنين، الأمر الذي يجعل الفرد أو الجماعة ينخرط في سلسلة من أعمال العنف بقصد النيل من ذلك النظام، ويتخذ هذ أشكالا متعددة كالتظاهر والعصيان المدني، والرفض السياسي، والذي في غالب الأحيان يصاحبه العنف، ويؤدي هذا النوع إلى الاخلال بالأمن والنظام العام وأحيانا يصل العنف إلى الثورة .

3.1 . الإطار المفاهيمي للحركات الاسلامية

اختلفت التعريفات حول مفهوم الحركات الاجتماعية، إلا أن هناك إجماع بينها حول عناصر رئيسية تميز هذه الحركات عن غيرها من صور السلوك الجمعي. ففي المعنى الدقيق للحركات الاجتماعية والسياسية هي: "جهد جمعي ضعيف تنظيميا ولكنه يتسم بالإصرار على دعم هدف اجتماعي يسعى إما لتحقيق أو لمنع تغيير ما في بنية المجتمع ونظام القيم السائد". (The Shorter Oxford English Dictionary , 1955, P 922) وتبرز نتيجة اهتزاز القيم والمعايير، أو انتشار الحرمان، والسخط والاحباط ، أو التحول في ميزان القوى داخل المجتمع.

1.3.1 مفهوم الحركات الاسلامية

يطلق مصطلح "الحركات الاسلامية" ويفضل بعض الباحثين استخدام مصطلح " الأصولية" ترجمة للمصلطلح الانجليزي Fundamentalism بينما يذهب آخرون إلى استخدام تعبير "الإسلاموية" ترجمة أيضا عن Islamicistعلى الحركات التي تنشط على الساحة السياسية وتنادي بتطبيق قيم الإسلام في جميع جوانب الحياة، فمثلا لا يطلق وصف الحركات الإسلامية على الجماعات الصوفية التي لا تنشط في مجال السياسة، كما لا يطلق على النظم والحركات التي تحكم بالشريعة الإسلامية تقليديا، بينما تطلق هذه الصفة على بعض حركات المعارضة لتلك الأنظمة. وتعكس هذه الاستخدامات المسلمات النظرية الشائعة أو المستبطنة حول هذه الظاهرة وطبيعة الفهم السائد نحوها.

ولكن دراسة الحركات الإسلامية كحركات اجتماعية وسياسية تركز على كونها قوى سياسية في المجتمع لها أهدافها وخصائصها المتميزة واستراتيجيتها وتتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية السائدة. وما صفة "الإسلامية" في هذه الحالة سوى تعبير عن الإطار الفكري الذي تنطلق منه هذه الحركات فهي في حقيقة الأمر حركات اجتماعية وسياسية في مجتمعات إسلامية .

2.3.1 . خلفيات الحركات الاسلامية

ترجع خلفيات بروز الحركات الاسلامية إلى الجهد الفكري والإصلاحي **لجمال الدين الأفغاني** وتلميذه **محمد عبده** (1849-1905) **ومحمد رشيد رضا** (1865-1935)، إضافة إلى الدور لذي لعبه **أبي الأعلى المودودي** منذ عام 1941 .

أما الأسباب المباشرة لبروز الحركات الاسلامية في واجهة الأحداث إلى موجة الإحياء الإسلامي منذ عام 1979 حيث ظهر الإسلام كقوة للتغيير سواء على مستوى الإيديولوجية أو الممارسة السياسية، واعتبر أسلوبا للحياة الاجتماعية لكثير من المسلمين، فأصبح مصدرا لحركات سياسية متعددة بل مالت النظم السياسية

في المجتمعات الإسلامية إلى إدراجه ضمن توجهاتها وأساليبها في إدارة البلاد. (كيبيل، 1992، ص ص 12، 13) وعرف هذا ب"الصحوة الإسلامية" والتي أرجعت أهم أسبابها إلى نجاح ثمار الطفرة النفطية وآثارها مقرونا بالشعور بالخيبة من فشل الحكومات والأيديولوجيات العلمانية، إضافة إلى أزمة الهوية والشعور بالدونية تجاه الغرب. مرورا بالأزمات الاقتصادية والسياسية التي ضربت العالم الإسلامي (حيدر، 1990، ص ص 33، 36) . وقد واكب هذه الأزمات حدة الصراع الطبقي وعجز المعارضة العلمانية وإفلاسها. كما اعتبرت هذه الحركات أنها رد فعل دفاعي في المجتمعات الإسلامية التي دهمتها الحداثة وهددتها بالتفكك والانهيار (الجورشي، 1989، ص ص 117، 147) كما فسر صعود الحركات الإسلامية إلى طبيعة الدين الإسلامي نفسه، وعدم قابليته للعقلنة والعلمنة.

3.3.1. تصنيف الحركات الإسلامية

تنقسم الحركات الإسلامية الدينية إلى قسمين رئيسيين:

1.3.3.1 الحركات المتطرفة السلمية: تتفق تلك الحركات على أن المجتمعات المعاصرة أقرب لحالة المجتمع الجاهلي والكافر في مكة بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة منها إلى المدينة (حماد، وآخرون، 2001، ص ص 248، 386) وتذهب تلك الحركات إلى عدم ممارسة أي أفعال عنيفة أو قتالية ضد المجتمعات والدول والأفراد الكافرين مثلما لم يفعل ذلك المسلمون الأوائل في المرحلة المكية. ويتم التعامل مع هؤلاء الأفراد والدول والمجتمعات، إما على شكل:

- **حركات التكفير والهجرة :** ترى أن تلك المجتمعات لا أمل أن تهتدي للإسلام ولم تعد تضم سوى الكافرين وبالتالي لابد لهم من هجرها بصورة أو بأخرى. والهجرة بالنسبة لهم، سواء كانت داخل المجتمع باعتزاله تماما والانفصال عنه كلية أو بالخروج منه، على غرار الهجرة النبوية .

- حركات إعادة الدعوة: بمعنى إعادة دعوة الناس الموجودين فيها والذين يجهلون الإسلام كما كان الكافرون في مكة يجهلونه، تعد المهمة الوحيدة التي يجب عليهم القيام بها كما فعل المسلمون الأوائل وهي "التبليغ والدعوة" لتعاليم الإسلام الأساسية وأركانه وعباداته من دون تبين اساليب العنف.

2.3.3.1 الحركات الجهادية العنيفة: وهو النوع الذي تتناوله الدراسة، وتتفق الحركات الجهادية العنيفة على أن المرحلة التي يعيشها العالم اليوم يمكن مقارنتها بمرحلة هجرة الإسلام إلى المدينة وما تلاها. وهي تلك التي اندمجت فيها العقيدة والدين بالدولة، أي بالسياسة. وتتفق تلك الحركات أيضا على أن الحكومات في البلدان المسلمة قد خرجت عن الإسلام وتعد مسئولة عن حالة الجاهلية التي تعيشها مجتمعات تلك البلدان. ونتيجة لهذه القراءة فإن المجتمعات الجاهلية المعاصرة حسب تلك الحركات لا تجوز إعادة دعوتها إلى أساسيات الإسلام بعد أن وصل إليها البلاغ واكتملت الرسالة. ويعد العنف الديني، أو الجهاد كما أسمته تلك الحركات، هو الوسيلة الوحيدة تقريبا لديها من أجل تحقيق تلك الأهداف، وتندرج خلالها الحركات التالية:

- **الحركات محلية الطابع:** تنطلق الحركات محلية الطابع، من فكرة أن "العدو القريب أولى بالقتال من العدو البعيد"، وهو بالنسبة لها حكومات الدول التي تنتمي إليها والتي يعد إسقاطها عبر قتالها هو المهمة الأولى التي ينشدها العضو. ولا شك أن وضع تلك الفئة من الحركات مفهوم "الجهاد" عنوانا لقتالها الداخلي ضد حكوماتها إنما كان يعكس من ناحية رؤيتها لها باعتبارها حكومات "كافرة" معادية للإسلام.

- **الحركات الاستقلالية-الانفصالية:** إنها متواجدة بصفة عامة في مناطق الأقليات المسلمة داخل الدول غير الإسلامية. ويتداخل لدى تلك الحركات مفاهيم الجهاد ضد العدو الخارجي غير المسلم مع مفاهيم التحرر الوطني وتقرير المصير.

- **الحركات دولية المجال :** تتميز بتفسيراتها حول مفهوم الجهاد وتتبنى مفهوم الجهاد الخارجي ضد من ترى أنهم أعداء الإسلام الخارجيين فتعتبر أن "العدو البعيد أولى بالقتال من العدو القريب" .

4.1 . مصادر ايديولوجيا العنف عند الحركات الاسلامية

1.4.1 أفكار أبو الأعلى المودودي: بدأت مساهمة المودودي تقليدية، حيث تصدى للدفاع عن الإسلام ضد الشبهات، ولكنه سرعان ما اتجه بالنقد إلى توجهات قيادات العمل الإسلامي في الهند، وقاد فكرة إقامة وطن قومي منفصل للمسلمين. ويعتبر أبو الأعلى المودودي من دعاة الحكم الثيوقراطي أو الحكامية الالهية التي لا تعني سوى إحياء نموذج الحق الالهي المقدس في السلطة، فبالنسبة إليه كان إعطاء الصبغة المقدسة ضرورية لخلق أمة على أساس ديني، وتنطلق إديولوجية أبو الأعلى المودودي في هذا السياق من اعتبار الحركة الشعبية لعنيفة أساس التغيير، فالمودودي يرفض الانقلاب العسكري أو التداول البرلماني، بل يرى ضرورة أن يتأتى التغيير على يد حركة دينية ملتزمة تقود جهادا عنيفا يفضي إلى نسف القواعد الجاهلية وارغام الجميع على الرضوخ لمقتضياتها، إضافة إلى فكرة التجديد والتي تنطوي عنده على تسعة أبعاد متسلسلة هي: تشخيص العلل خطة للإصلاح، تقدير جوانب الضعف والقوة، الانقلاب الفكري، الاصلاحات العلمية، الاجتهاد، الجهاد، الإحياء الانقلاب العالمي، (العبدويس، 2019، ص ص 141، 146) تعتبر هذه أهم عناصر في فكر المودودي لتي تتحدث صراحة عن العنف والجهاد وهو ما اعتبر مرجعية أساسية في فكره، استلهمت منها الحركات العنفية إيديولوجيتها.

2.4.1 أفكار سيد قطب: يعتبر سيد قطب بمثابة صلة الوصل التي جسرت الفضاء الايديولوجي ما بين السلفية الأولى ونظيرتها السلفية المعاصرة، فقد رفض أسلمة الدولة عبر الأنشطة السياسية ذات الطابع السلمي داعيا للجهاد كوسيلة عنفية من أجل إزاحة العوائق التي تعترض قيام دولة الاسلام. واعتبر سيد قطب أبا الحركات الاسلامية الاصولية العنيفة المعاصرة حيث شجع على ازالة الأنظمة التي تقوم على أساس حكامية البشر وعبودية الانسان للانسان، فسيد قطب المنظر الايديولوجي الأبرز لحركة الاخوان المسلمين كان قد توسع في فرضياته حول انحدار المجتمعات المسلمة إلى الجاهلية بحيث أصبحت طروحاته الفكرية معيارا لتمييز المؤمنين الحقيقيين عمن سواهم تمهيدا لزجهم في معركة العقيدة، لقد حور قطب مفهوم الجهاد كصراع داخلي ذاتي ضد هوى النفس إلى حرب خارجية ضد الكفار، ودعى الصفوة المؤمنة لتسلم زمام قيادة الانسانية وعدم الاكتفاء بالنطاق الجغرافي لأمة الاسلام سعيا وراء تحرير البشرية من ظلمات الجاهلية بالعنف والقوة وعدم الاكتفاء باللسان والقلم، (العبدويس، 2019، ص ص 147، 154) وهذه الأفكار التي اعتمدت عليها بعض الحركات في تبرير العنف والتدمير والاغتيال.

3.4.1 أفكار الجهاديين : ظهر الجاهديون لأول مرة على مسرح الأحداث مباشرة بعد الغزو السوفياتي لأفغانستان فقد تدفق عشرات الآلاف من الشباب العربي والمسلم إلى ما اعتبروه أرض الجهاد إلى جانب المقاومة الأفغانية، وقد أنتجت تجربة الحرب الأفغانية تراثا فريدا من الفكر السياسي العنيف، ويعد **عبدالله عزام** داعية الجهاد الاسلامي الأممي والمنظر الاول للجهاد المهاجر، فقد أعاد إحياء مفاهيم الجهاد الجذرية من خلال قراءات معاصرة منتقاة لأفكار ابن تيمية، وقد دفع عزام بحدود إيديولوجية العنف المسلح إلى أقصاها عندما شدد على فردية الواجب القتالي وتعينه على الجميع، وقد أضاف عزام لمكتبة الأصولية الاسلامية المسلحة كما ضخما من المؤلفات وأهم كتبه: آيات الرحمان في جهاد الأفغان، كلمات على خط النار الأول، عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر، السرطان الأحمر، في الجهاد آداب وأحكام.

أما محمد عبد السلام فرج فقد تحول كتابه (الفريضة الغائبة) إلى بيان سياسي إسلامي أصولي عالمي بالنظر لتركيزه على واجب الفرد في مناهضة الحكم الإلحادي ورفض طروحات التأجيل الثوري التي اعتمدتها المؤسسة الدينية التقليدية محتجة بغياب الخلافة الجامعة. (العبدويس، 2019، ص 157)

وقد ظهرت إسهامات أخرى شكلت نوعا من التطوير والتجديد الفكري والايديولوجي للجماعات الجهادية فقد مثلت كتابات كل من عبود وطارق الزمر وأيمن الظواهري وكمال السعيد حبيب والتي كانت تنشر في مجلة الفتح نوعا من الإثراء للبنية الايديولوجية للتنظيمات الأصولية المسلحة وتدور أغلب تلك الكتابات حول رفض الديموقراطية والبرلمانات والحياة الحزبية باعتبارها دينا مناقضا للتوحيد والحكامية الإلهية، والموقف المتشنج من الأقليات الدينية والمذهبية، العداء الصريح للغرب وحضارته بوصفها حضارة مادية جاهلية.

تمثل هذه المرجعيات أهم مصادر إيديولوجيا العنف التي اعتمدت عليها بعض الحركات الاسلامية المتطرفة لتبرير ممارساتها العنيفة.

2. حركة طالبان – باكستان

أدت معضلة تنامي الحركات والتنظيمات بمختلف توجهاتها الدينية والعرقية والارهابية إلى اختلاط فواعل الصراعات والعنف في باكستان، والتي جعلت منها دولة في معظم فتراتها "دولة مأزومة"، وتمثل الحركات الاسلامية أبرز التنظيمات التي تنشط في الساحة الباكستانية سواء سياسيا أو عن طريق العنف، وهذا نظرا لارتباطها بنشأة باكستان كدولة في حد ذاته إضافة إلى عوامل أخرى ضاعفت من تواجد هذه الحركات من جهة وتوجهاتها نحو العنف من جهة أخرى، فما هي خلفيات بروز الحركات الاسلامية العنفية في باكستان بشكل عام وحركة طالبان – باكستان بشكل خاص؟

1.2. خلفيات بروز حركة طالبان – باكستان

نشأت التنظيمات الاسلامية بشكل عام في باكستان في ظل شبكة معقدة من العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقليمية والدولية، فمنذ تأسيس الدولة تعرضت لضغوط من طرف الأحزاب الدينية وخاصة **"الجماعة الإسلامية"** بزعامة **أبو الأعلى المودودي** الذي دعى إلى الحكامية وإقامة دولة دينية تُطبَّقُ فيها مبادئ الشريعة الإسلامية لإكمال الطابع الإسلامي للدولة.

واتضحت عملية أسلمة الدولة بشكل أكبر خلال فترة حكم محمد ضياء الحق (1977-1988) كسياسة كان القصد منها محاولة كسب الشرعية لنظامه العسكري، حيث قام ببدء عملية **"أسلمة الدولة"**بإصداره مرسوماً عام 1979 يقضي بتعديل الدستور يتم بموجبه إلغاء القوانين التي تتعارض مع الإسلام وتكييفها مع القرآن والسنة،واعتمد ضياء على تسمية نظام الحكم بـ"الديمقراطية الاسلامية" في ضوء نظام **"المصطفى"** الذي اعتبره الأساس في تحقيق أسلمة الدولة . (الحديثي، 1989، ص 90) لأن الإسلام في باكستان ليس مجرد إيديولوجيا لنظام سياسي بل يعد معيار شرعية النظام باعتباره الضامن للحفاظ على وحدة الدولة. فقد قدمت طبيعة النظام السلطوي في باكستان للنخب آلية لتكريس سيطرتها على جهاز الدولة، مستغلة الرمزية الدينية لكسب الشرعية والسلطة، وكانت النتيجة تصاعد الاتجاه نحو الاستخدام السياسي للإسلام بالدولة إلى تشجيع المنافسة بين الجماعات الدينية، من خلال اعتناء كل مذهب بالتمكين لنفسه في مؤسسات الدولة.

وتزامن برنامج الأسلمة مع حدثين مهمين من الأحداث الخارجية هما نجاح **"الثورة الإيرانية"**و**"الغزو السوفيتي لأفغانستان"**سنة 1979، وفي هذا السياق تمثل باكستان حالة لما يمكن أن يحدث من انحراف في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة عندما يصبح الدين مسيَّساً في سياق السياسات العالمية.

فقد تركت هذه الأحداث أثرا كبيرا على باكستان بسبب طبيعة الهوية الاسلامية لمجتمعها والتي جلبت لها العديد من القوى المتصارعة استراتيجياً وإيديولوجياً. حيث ساهمت الثورة الايرانية في بلورة الهوية الشيعية ودعمت طموحات ومطالب الشيعة في مختلف المناطق. (Ahmar, 2010 ,p56) وجاء **الغزو السوفيتي**

لأفغانستان ليشكل ذريعة للسعودية للرد على التوجه الشيعي الإيراني في المنطقة، والتي عملت على دعم الحركات الإسلامية بتعزيز دور المدارس السنية الحنفية الديوبندية. ويرجع نشأة الاتجاه الديوبندي إلى بدايات القرن الثامن عشر، من رافدين رئيسين هما: مدرسة الإمام ولي الله الدهلوي، ومدرسة القصر الفرنجي "فرنجي محل". وبعد وفاة الدهلوي قام الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي، والشيخ محمد قاسم النانوتوي اللذان قاما بتأسس دار العلوم ديوبند . والتي مثلت أولى المدارس الدينية كان مقرها بلدة ديوباند، وكان الهدف من انشائها المحافظة على الهوية الإسلامية في شبه القارة الهندية، وهكذا بدأت الحركة الديوبندية تنشئ المدارس التي كان لها تأثير كبير على الحركة الإسلامية. واتخذت الحركة من الفقه الإسلامي حسب المذهب الحنفي وكان لمبادئ هذه المدرسة الأثر الأكبر في نشوء حركة "طالبان" فيما بعد.حيث أن تسمية طالبان في حد ذاتها إلى المصدر اللغوي "طالب"، وكلمة طالبان تشير إلى طلاب المدارس الإسلامية .

وقد تحولت المذاهب والمدارس الدينية إلى ساحة للحرب بالوكالة بين القوى الإقليمية والدولية وأثر هذا في علاقات المدارس ببعضها، إذ يتم تشجيع الطلاب على المشاركة في الجهاد على غير المؤمنين الذين يصنف ضمن معتنقو المذاهب الاسلامية الأخرى، ويمكن أن تتحول حادثة صغيرة إلى مواجهة مسلحة بين طلاب(كوردونير، 2001، ص 55)

من جانبه منح النظام الباكستاني خلال الثمانينيات مساجد الثكنات العسكرية لهذه للمدارس الديوبندية لتديرها، الأمر الذي ضاعف من انتشار هذا الاتجاه وسط المؤسسة العسكرية، كما قام النظام بمضاعفة عددها حيث شكلت عند نهاية حكم ضياء الحق 8.000 مدرسة مسجلة و25.000 مدرسة غير مسجلة.(ماغنير، 2012، المناهج التعليمية، في المدارس الدينية تحت المراقبة، https://bit.ly/2Wgdhrs) كانت باكستان بمثابة قاعدة إمداد فكري وبشري للجهاد في افغانستان من خلال شبكات مدارسها الدينية التي تحولت إلى أدوات لنشر الفكر السلفي المتشدد الذي يركز على مفهوم الجهاد والقتال (سروار، 2014، الجهاد ومناهج التعليم في باكستان https://bit.ly/37jZPt6) حيث تم انشاء العديد من المدارس الدينية بالقرب من الحدود الباكستانية - الأفغانية، كما وفرت فترة الجهاد في أفغانستان تدريباً مجانياً لجيل كامل تخرج من المدارس الدينية، خاصة على المدارس الديوبندية، التي تخرج منها معظم مقاتلي حركة **"طالبان أفغانستان"**التي يرجع ظهورها على الساحة الأفغانية إلى بداية عام 1994 (المديني، 2003، ص174) . وبهذا عمل الجهاد الأفغاني على التزويد بالأعداد، والتنظيم والمهارات والمدى والثقة والهدف الموضوعي، وبذلك خلقت أمريكا بنية تحتية للإرهاب تحت شعار أنها بنية تحتية للتحرر. فبعد الانسحاب السوفياتي من أفغانستان أتجه أغلب الجهاديين الذين ينتمون لجنسيات مختلفة إلى دول أخرى لتبدأ مرحلة أخرى من العنف ضد الأنظمة في الدول الاسلامية خاصة بدعوى أنها أنظمة غير اسلامية، وشكلت باكستان أبرز المتأثرين بالنهج الجهادي الجديد بحكم الجوار الأفغاني وبحكم هوية الدولة والمجتمع، فخلال التسعينيات مثلا شهدت باكستان موجة مكثفة من أعمال العنف من الجماعات الاسلامية، اتسمت في بدايتها بالتعرض للشخصيات والقيادات البارزة من علماء وفقهاء وتصفية قادة التنظيمات الاسلامية. وخلال منتصف التسعينات تصاعدت أعمال العنف سواء من ناحية النطاق أو الكثافة، وبدءً من عام 1995، تحول نمط الصراع من العنف ضد النخب والقيادات إلى الهجمات التي تستهدف التجمعات الدينية والمساجد، إضافة استهداف المسؤولين الحكوميين (جافريلو، 2014، الحكام والدول الأجنبية يساهمون في اذكاء الانقسام الطائفي في باكستان، http://bit.ly/3gL44hEq) تزامن تصاعد استهداف الحركات الدينية المتشددة لمؤسسات الدولة في باكستان مع ارتفاع وتيرة الصراع بين أتباع المذاهب الإسلامية، خلال فترة التسعينيات، حيث لجأ أتباع كل مذهب إلى الضغط على الحكومة وجعل مذهبه الرسمي، وعمد اتباع المذاهب إلى تكوين مليشيات خاصة وإنشاء مناطق خاضعة لها من خلال إقامة محاكمها وتطبيق قوانينها، وبذلك تحول الصراع الديني إلى أداة تتحدى شرعية الدولة وتقوم بتكفيرها والضغط عليها لتطبيق مذهبها.

وخلفت أعمال العنف المتكررة مئات القتلى وآلاف الجرحى، من بينهم كبار موظفي الدولة وزعماء دينيين بارزين. كما أن استخدام التنظيمات لشبكات المساجد والمدارس الدينية، والجامعات كوسائل للإعلام

والتجنيد جعل الكثير من الحوادث على شكل هجمات متبادلة بين بعض المساجد والمدارس الدينية كما يقوم كل منهما بتكفير الآخر ومهاجمة المعتقدات الدينية لبعضها (Qasim Zaman , 1998 , p697). وبدءً من عام 1997 ظهرت ميزة جديدة للعنف من خلال استهداف المواطنين العاديين (Ahmar ,2010 , p 58) .

غير أن الاتجاه الجهادي للمدرسة الديوبندية الذي دعمه النظام الباكستاني خلال الغزو السوفييتي لأفغانستان خرج عن إرادة الاستخبارات الباكستانية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث بدأت العديد من الجماعات المنتمية لنفس الاتجاه بتأييد حركة طالبان في أفغانستان. وبعد 11 سبتمبر 2001 تحول نمط العنف نحو التفجير الانتحاري الذي أصبح النمط السائد للعنف (Ahmar, 2010, p59) الذي ظل ممتزجًا بالحياة الباكستانية منذ تلك الفترة، بفعل انخراط باكستان مع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب على الإرهاب، فوجدت السلطات الباكستانية نفسها مجبرة على مواجهة التنظيمات الاسلامية وقسرها بدعوى "الإرهاب الدولي" غير أن حظر واستهداف التنظيمات لم يكن بالأمر الفعال في الحد من حوادث العنف في ظل قدرة هذه المجموعات علىالحركة، حيث أنها تتخفي وتظهر بمسميات وأشكال مختلفة رغم حظر السلطات لها.

2.2. نشاط حركة طالبان – باكستان

أدّت الراوبط مع الجهاديين الأفغان خلال فترة الغزو السوفياتي إلى تعزيز أنشطة التنظيمات الاسلامية، كما بدأت العديد من الحركات في باكستان بتأييد حركة طالبان بسبب انتمائهم لنفس الاتجاه، كما أن **انتشار** المدارس الديوبندية التي تدرس المذهب الحنفي بالمنطقة الحدودية بين باكستان وأفغانستان جعل من قضية تحكيم الشريعة في مناطقهم من أولويات الحياة، وقد برز تأثير هذا التوجه في باكستان بعد **أزمة مالاكاند** الواقعة بمقاطعة الحدود الشمالية الغربية (خيبر بختونخواه) مع مطلع التسعينيات والتي تعتبر أبرز الأحداث في بداية قضية المواجهة بين الدولة والتنظيمات الدينية (جاد، 2013، باكستان وتحديات التطرف،https://bit.ly/2JUjXtf)

وترجع بدايات ظهور الحركة إلى عام 2002 أي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث تحول إقليم الحدود الشمالية الغربية وعلى وجه التحديد **"منطقة القبائل"** الواقعة بين أفغانستان وباكستان، إلى مركز التوتر الحقيقي في الدولة، بعد تعرض العديد من المدارس الدينية في المنطقة بداية من 2004 لقصف الطائرات الأمريكية بحجة تواجد عناصر من حركة طالبان – أفغانستان وتنظيم القاعدة هناك، وهو الأمر الذي أثار حفيظة السكان، كما عجز النظام عن ضبط التوتر في هذه المنطقة خاصة مع الإعلان عن تشكيل ما سمي **بطالبان-باكستان** في 14 ديسمبر 2007، رسميا بقيادة **بيت الله محسود**، وقد تشكلت هذه الحركة من اتحاد جماعات مسلحة تنشط في إقليم وزيرستان الذي يضم قبيلتين رئيسيتين هما: قبيلة **"محسود"** وقبيلة **"وزير"**، وتتمثل هذه الجماعات المسلحة:

1- **مجموعة بيت الله محسود:** من قبيلة محسود في وزيرستان الجنوبية.

2- **مجموعة ملا نذير:** ينتمي إلى قبيلة وزير ويركز نشاطه ضد القوات الأمريكية في أفغانستان .

3- **مجموعة ملا فقير:** مركزها منطقة باجور وهدفها الرد على الهجمات الأمريكية.

4- **مجموعة صوفي محمد**: ينتمي إلى منطقة ملاكاند برز اسمه في بداية التسعينيات عندما طالب بتطبيق الشريعة في مالاكاند.

5 - **مجموعة ملا فضل الله:** يتمركز في واد سوات ومطلبه الأساسي تطبيق الشريعة الاسلامية في الاقليم.

ويتكون بناؤها التنظيمي من مجلس شورى يضم أربعين قياديا شكلوا الحركة باعتبارها مظلة لجميع التنظيمات التي تتبع فكر طالبان – افغانستان.

أما التوجه الإيديولوجي للحركة فهي تتبنى توجها دينيا وتؤمن بالعمل المسلح وماتعتبره جهادا، وحددت أهدافها في تطبيق الشريعة في باكستان كلها ومحاربة الوجود الأجنبي في أفغانستان، واعتبرت هذه الحركة من الحركات التي تؤيد إقامة دولة إسلامية غير أن وغير إيديولوجيتها غير واضحة، فغالبا ما تنظم عملها حول قضايا محددة بدلا ن تطوير إيديولوجيا عميقة ومحددة بوضوح.

ضمت حركة طالبان – باكستان عند نشأتها ما بين 30 و35 ألف مسلح معظمهم من خريجي ومنتسبي المدارس الدينية الديوبندية، وتحولت منطقة **"وزيرستان"** في منطقة القبائل التي تمركزت فيها حركة طالبان إلى مصدر عدم الاستقرار والتهديد الحقيقي للدولة، ومركزاً للعنف الذي يختلط فيه الصراع القبلي بالطائفية والارهاب. وقد سعت طالبان للتمركز بمنطقة القبائل بسبب تعقيداتها الجغرافية والسياسية والقبلية، حيث عاشت بمثابة دولة داخل دولة، خاصة مع ظروف الإهمال السياسي والاقتصادي والتنموي، ويتم في هذه المنطقة تطبيق القانون القبلي بدلاً من القانون الوطني الباكستاني، كما أن بقاء هذه المنطقة خارج سلطات الحكومة مكرس بمواثيق واتفاقيات بين الحكومة والقبائل منذ انشاء دولة باكستان) .

وأمام هذا الوضع المعقد للإقليم عمدت حركة طالبان إلى إقامة قضاة محليين في المنطقة لفض النزاعات وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية، كما جندت الرجال والأطفال وأقامت المدارس الدينية الجهادية وهددت زعماء القبائل بقتل كل من يعارض سلطتها، واستهدفت أفراد الطائفة الشيعية في تلك المنطقة من خلال الاختطاف أو القتل عند العجز عند دفع الضرائب المفروضة على الأسر الشيعية ما أدى بالكثير منهم إلى النزوح من المنطقة.

وقد حوّلت حركة طالبان أهدافها نحو ضرب مؤسسات الدولة بعد حادثة **"المسجدالأحمر"** في 2007 عندما بدأ طلاب وشيوخ المسجد بالعاصمة إسلام آباد في تطبيق القانون بأنفسهم، وبعدما يقرب من ستة أشهر من نشاطاتهم داخل المسجد قررت الحكومة برئاسة برويز مشرف إرسال الجيش لمقاومتهم، حدثت على إثرها مواجهات بين قوات الأمن الباكستانية وطلاب المسجد، قتل خلالها حوالي 200 شخص، بعد هذه الحادثة حوّلت حركة طالبان أهدافها نحو: (عمرو، 2013، طالبان من النشأة إلى المواجهة، http://bit.ly/2JVOTes)

1- استهداف التجمعات والزعامات الشيعية : وذلك ردا على الهجومات التي يتعرض لها السنة، والتي تصاعدت خاصة بعد الانتخابات التشريعية في 2008 التي تولى رئاسة الحكومة على إثرها آصف علي زرداري "الشيعي" رئيس حزب الشعب الباكستاني بعد مقتل رئيسته **بينظير بوتو**. وقد جذب هذا النهج الطائفي لحركة طالبان ضد الشيعة المجموعات السنيّة، فمنذ عام 2007 اتحدت العديد من الجماعات السنية مع طالبان – باكستان في محاولة للإطاحة بالحكومة الباكستانية.

2- **الأهداف العسكرية:** والذي تجسّد في القيام بهجمات انتحارية عديدة ضد أهداف ومنشآت عسكرية واستهداف تحديدًا قيادات وعناصر شيعية في الجيش، بتهمة تقديمهم للتسهيلات المخابراتية للقوات الأمريكية، التي كثفت من قصفها على مناطق غالبا ما يكون سكانها من السنة، وهو ما أدى إلى إلحاق أضرار كبيرة بالجيش وتجهيزاته (علاي، 2009، ص 5) . الأمر الذي أدى بالحكومة إلى زج آلاف الجنود في تلك المنطقة، وأصبح وادي سوات الذي يبعد 160كلم عن العاصمة اسلام آباد محورا للصراع بين طالبان والجيش الباكستاني مما أسفر عن تشريد آلاف السكان واتلاف الممتلكات ومقتل 15000 من المدنيين(علاي، 2009، ص 22) واضطرت الحكومة الباكستانية في 28 سبتمبر 2008 إلى فتح مخيمات يبلغ تعدادها 1700 مخيم بغرض استقبال أكثر من 11 ألف لاجئ باكستاني فروا من جراء أعمال العنف بالمنطقة، واعتبرت هذه أكبر هجرة جماعية في تاريخ البلاد منذ تقسيم شبه القارة الهندية، وحتى في ظل المواجهة مع الجيش الباكستاني والهجمات

الأمريكية استطاعت حركة طالبان في عام 2009 زيادة مساحات نشاطها، كما قامت بتغيير اسمها إلى **"مجلس شورى المجاهدين"** في 23 فيفري 2009، وفي 2010 اعتبرت تنظيما ارهابيا من طرف الولايات المتحدة الأمريكية.

كما تمكنت هذه الحركة في 2009 من فرض سيطرة كاملة على وادي سوات، مما اضطر الحكومة إلى عقد اتفاقية معها استطاعت فيها الحركة انتزاع تنازلات من النظام في مفاوضات سياسيه تم اقرارها في أفريل 2009 من طرف أصف زرداري رئيس الجمهورية، نصت على قبول تطبيق الشريعة الإسلامية في منطقة سوات. وعلى إثر الضغوط الأمريكية الرافضة للحوار مع طالبان- باكستان ألغت الحكومة الباكستانية الاتفاق وعمدت إلى مواجهة الحركة عسكريا في ظل تصاعد الحديث والمخاوف من تفكك الدولة الباكستانية.غير أن المواجهات العسكرية مع حركة طالبان قد طالت علاقة النظام بالشعب خاصة لدى الغالبية البشتونية في إقليم الحدود الشمالية الغربية الذين شعروا بأن الهجمات تستهدفهم، خاصة وأن هذا الاقليم يعرف نوعا من التهميش والإقصاء إضافة إلى تواضع تمثيله داخل الجيش والبيروقراطية العسكرية، كما أن الاقليم يعتبر مركزا لنشاط قوى قومية تهدف لتوحيد البشتون على جانبي الحدود الأفغانية الباكستانية وتطالب بإقامة دولة باشتونستان الكبرى تضم كل البشتون الموجودين في المنطقة، وتعتبر هذه الحركة تهديداً للأمن والوحدة الاقليمية والمجتمعية في الدولة الباكستانية.

وإلى جنوب إقليم خيبر بختنخواه أن تتمركز حركة طالبان تحول إقليم بلوشستان إلىمركز نشاط آخر للحركةبعد امتداد هجماتها إليه. فبعد أن تعاونت إيران وباكستان خلال السبعينيات من خلال انتهاج سياسة دعم المتطرفين الدينيين في بلوشستان، من أجل خلق اضطراب وآليات سياسية مصطنعة عن طريق متطرفين إسلاميين، لزعزعة وعرقلة نشاط القومية البلوشية، أدى هذا الدعم للجماعات الدينية إلى جانب القرب من أفغانستانإلى جعل الإيديولوجية السلفية - الجهادية ذات حضورقويفي المنطقة، وجعل هذا من بلوشستان مركزا للانتحاريين والنشاطات الإرهابية.

غير أن إقدام التنظيمات السنية من بينها حركة طالبان باستهداف الشيعة على وجه الخصوص في بلوشستان حوّل التعاون الايراني – الباكستاني إلى انعدام ثقة متبادلة، خاصة بعد هجمات أكتوبر 2009 الذي أسفر عن مقتل 41 شخص بينهم عدد من كبار المسؤولين في الحرس الثوري الإيراني. وتصاعدت الهجمات في عام 2012 بشن أكثر من 67 هجوماً استهدفت الشيعة بلوشستان، وساعد هذا في تخفيف تأثير الحركة الانفصالية البلوشية من خلال توجيه الاهتمام الدولي إلى قضية استهداف الشيعة، غير أن انتقال العنف إلى إقليم بلوشستان جعل الحدود مع إيران مرشحة للتحول إلى حالة جديدة من الصراع.

واستمرت الهجمات من طرف الحركة على أجهزة الدولة وموظفيها وبدأت في 2014 بعض المسيرات والمطالبات الشعبية والسياسية من الحكومة بالتفاوض مع الحركة، غير أن الحكومة واصلت مواجهة الحركة عسكريا، وفي هذه السنة أعلنت العديد من الجماعات انشقاقها عن حركة طالبان ولجوئها إلى العمل السلمي حيث تضاءل النشاط العنفي للحركة في 2014 وأصبح يقتصرعلى اغتيال المعارضين لها والموظفين في الحكومة الباكستانية والهجوم على مراكز أمنية، غير أنه وفي 2018 عادت بعض القوى للاندماج مرة أخرى مع الحركة، وعادت أعمال العنف إلى التصاعد مرة أخرى، كما انضمت اليها في جويلية 2020 ستة فصائل أخرى مما زاد من قوة الحركة ووسع من نطاقها ومنذ هذا التاريخ أصبحت هناك هجمات شبه يومية، وهناك احتمالات لارتفاع نشاط الحركة خاصة أن هناك احصائيات تقريبية بوجود أكثر من 6000 مقاتل باكستاني في أفغانستان (طالبان باكستان تواجه خطر فقدانها ملاذها الأفغاني، 2020، https://bit.ly/37ybOn8) ينتمي معظمهم لطالبان باكستان واحتمالات عودتهم لباكستان .

خاتمة

يمكن الوصول في ختام الدراسة إلى تأكيد الفرضيات التي تم الانطلاق منها وهي أن العنف عند الحركات الاسلامية عامة وحركة طالبان – باكستان خاصة ما هو إلا محصلة تفاعل لعوامل متبادلة التأثير والتأثر بين متغيرات فكرية وبنيوية للنظام السياسي وبين تداخل التحالفات والمصالح الاستراتيجية والاقليمية والعالمية. ورغم أن بعض الدراسات وخاصة الغربية ترد ظاهرة العنف الإسلامي إلى الطبيعة المغلقة للنصوص الدينية الإسلامية والفكرة الأصولية عن الجهاد التي تشرع للعنف، إلا أن الواقع يظهر في نماذج الحركات الاسلامية في باكستان استثمار النخب السياسية الداخلية والخارجية في بنية المجتمع، فتحول الإسلام بعد فشل النخب الباكستانية في توحيد الجماعات الأهلية إلى قوة تتخذ من الدين إطاراً لتمييز الجماعات، كما أن الصراع في باكستان يمثل حالة من الصراع المختلط الذي يتداخل فيه العنف بمختلف أشكاله العرقية والدينية والسياسية بالارهاب وهو ما صعَّب على الحكومة احتواء العنف. فقد مثل دخول الدولة في صراع مع بعض القوى الدينية نوعاً من التحول في جوهر الثوابت التي حكمت باكستان طوال عقود من خلال إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والقوى الدينية.

قائمة المراجع:

الكتب بالعربية:

– ابراهيم، حسنين توفيق. (1999). ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

– الجروشي، صلاح الدين . (1989). الحركة الإسلامية مستقبلها رهين التغييرات الجذرية، في الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، القاهرة: مكتبة مديولي.

– الحديثي، هاني إلياس. (1998). سياسة باكستان الإقليمية 1981 – 1994، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

– حيدر، إبراهيم علي . (1990) . الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية: ملاحظات في علم اجتماع الدين ، في: عبد الباقي الهرماسي وآخرين، الدين في المجتمع العربي ، بيروت: مركز درايات الوحدة العربية.

– الحيدري، ابراهيم . (2015) . سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت: دار الساقي.

– حماد، مجدي. (2001) . الحركات الإسلامية والديمقراطية: دراسة في الفكر والممارسة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

– كيبيل، جيل. (1992) . يوم الله، الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة، ترجمة نصير مروة، قبرص: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث.

– الكيالي، عبد الوهاب الكيالي، وآخرون . (1979). الموسوعة السياسية، ج 1 ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

– كوردونير، إيزابيل . (2001) . النظام العسكري والسياسي في باكستان. ترجمة: عبد الله جمعة الحاج، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

– المديني، توفيق . (2003) . التوتاليتارية الليبرالية الجديدة والحرب على الارهاب. دمشق: اتحاد الكتاب.

– العبدويس، ليث مزاحم . (2019) . إيديولوجية العنف المسلح في تصورات الأصولية الاسلامية المعاصرة، عمان: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

– الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. إشراف: العرقسوسي، محمد نعيم. (2005). القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة.

– الدوريات:

– علاي، ستار جبار. (2009). التطورات السياسية في باكستان بعد الانتخابات العامة 2008، السياسة الدولية، العدد40.

المذكرات والأطروحات:

- حجار، ماجدة، (2009/ 2010). العولمة والعنف: مقاربة سوسيولوجية لظاهرة العنف في ظل العولمة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه علوم، فرع تنمية وتسيير الموارد البشرية.

- نايت سعيدي، إلهام، (2002/2001). العنف السياسي في الجزائر في ظل التعددية السياسية 1988- 1995، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، مذكرة ماجستير، علوم سياسية وعلاقات دولية.

المراجع الأجنبية:

الكتب:

− The Shorter Oxford English Dictionary. (1955) . 3rd ed. (London: Oxford University Press.

الدوريات:

− Ahmar, moonis . (2010). Sectarian conflict in pakistan : some lessons from the irish experience,. IPRI Journal X ; n^0.1

− Qasim Zaman, Muhammad. (1998).Sectarianism in Pakistan: The Radicalization of Shi`i and Sunni Identities. Mdern Asia Studies. Vol.32 N°3.

المواقع الاكترونية:

– جاد، أمينة، باكستان وتحديات التطرف، على الرابط:https://bit.ly/2JUjXtf تصفح بتاريخ: 2013.03.15

– جافريلو، جان كريستوف ،الحكام والدول الأجنبية يساهمون في اذكاء الانقسام الطائفي في باكستان، على الرابط:

http://bit.ly/3gL44hEq تصفح بتاريخ: 2014.03.16.

- طالبان باكستان تواجه خطر فقدانها ملاذها الأفغاني، على الرابط: https://bit.ly/37ybOn8 تصفح بتاريخ 2020 .10.25

- ماغنير، مارك، المناهج التعليمية في المدارسالدينية تحت المراقبة، على الرابط: https://bit.ly/2Wgdhrs تصفح بتاريخ: 2013.06.12.

- ساروار، بينا، الجهاد ومناهج التعليم في باكستان، على الرابط : https://bit.ly/37jZPt6 تصفح بتاريخ: 2014.05.26.

- عمرو، أحمد ، طالبان من النشأة إلى المواجهة، على الرابط : http://bit.ly/2JVOTes تصفح بتاريخ: 2013.02.12.